تفسير سورة الماعون



للشيخ هاني حلمي

حفظه الله

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمدُ لله وكفى، وصلى الله وسلم على النبيِّ المصطفى وآله المستكملين الشرفا

ثُمَّ أمَّا بعد....

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يزيدنا علمًا ينفعنا، اللهمَّ اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء همومنا، وذهاب غمومنا، اللهمَّ ذكرنا منه ما نُسّينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل، و أطراف النهار، على الوجه الذي يُرضيك عنّا.

****

✍ **سنتدارس سورة الماعون، وهي سورة مكية، عدد آياتها سبع.**

هذه السورة تُبين شأن التَّعجب من حال من كذّبوا بالبعث، وكيف أنهم اعتدوا على الضعفاء، و أمسكوا عن إطعام المسكين.

☜ **ففي أولها جاءت الآية متعجبة:**

- **من حال الذين كذّبوا بالبعث {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}.**
- **ومن شأن أُولَئِكَ الَّذين يعتدون على الضعفاء، و يحتقرونهم، ويمسكون عن إطعام هؤلاء الجوعى {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}.**

☜ **أمّا في الخاتمة فكانت ذمًا للمنافقين الغافلين عن الصلاة، ولا يؤدُنها في أوقاتها، بل يُرَاءُونَ النَّاس بأعمالهم {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}.**

معنى كلمة الماعون:

يُطلق الماعون على الإعانة بالمال "أي ويمنعون أموالهم"، ويُطلق على الزكاة، وقيل يمنعون ما يستعيرونه، ويُطلق على ما يُستعان به على عمل البيت من الآنية "التي نقول عليها بلغتنا الدارجة المواعين" آلات الطبخ وغير هذا...، هذا له أصل، الماعون، يُطلق على آلات الطهي ونحو ذلك.

سبب تسمية السورة.

- **ومن الطبع سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لوقوع لفظ الماعون في خاتمتها، واختصت هذه السورة بهذا اللفظ فلم يقع في سورةٍ أخرى من سور القرآن.**

- وكان البعض يُسمّيها سورة أرَأَيْتَ نسبة لما ورد في أولها لقول الله تبارك وتعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ}.
- والبعض سمَّاها بسورة الدين، وعنون بذلك بعض العلماء كالبقاعي في نظم الدُّرر، والشّوكاني، و الألوسيّ، والسّخاوي، والسيوطي، كانوا يسمونها بسورة الدين، سُمّيت به لوقوع لفظ الدين في أولها أيضًا: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}.
- وسُمّيت أيضًا بسورة اليتيم، و سُمّيت بذلك لوقوع هذا اللفظ في قول الله تبارك وتعالى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}.
- وسُمّيت بسورة التكذيب نسبةً لقوله تبارك وتعالى: {الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}.

✍ فسورة الماعون لها عِدَّة أسماء اجتهادية، ولكن الاسم الَّذِي اجتمع عليه أهل التفسير، والَّذِي عليه جماهير العلماء، أنَّ اسمها سورة الماعون.

قال الله تبارك وتعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}، الَّذي يكذب بالدين: أي بالجزاء والحساب في الآخرة، {أَرَأَيْتَ}: ففي ذلك تعجب من أمر هؤلاء الذين يُكذّبون بالجزاء، والحساب في الآخرة، أرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بحكم الله، أرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بالجزاء ثوابًا وعقابًا، وقال بعضهم الدين هنا القرآن أرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بالقرآن،

{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}، يَدُعُّ: أي يحتقر اليتيم، أو يظلم اليتيم، أو الذي يدفعه دفعًا شديدًا، فيدفعه عن حقه، ويدفعه عن مالِهْ، ويأكل أموال اليتامى ظلمًا وعدوانًا، أو يدفعه إبعادًا وزجرًا، و قد قرأ فذلك الَّذِي يَدَعُ الْيَتِيمْ أي يترك اليتيم، فلا يُراعيه.

وهناك تأويلٌ أخر: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}: باستخدامه و امتهانه قهرًا و ظلماً وعدوانًا، {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}: فيدفعه ولا يعطيه حقه.

شأن اليتيم في شريعة الإسلام.

ومعلوم في شريعة الإسلام عِظم شأن اليتيم وعِظمِ شأن كفالة اليتيم واستحباب مسح رأسه وإكرامه، النبي ﷺ كان يقول كما عند الطبراني بإسنادٍ صحيح: "أتحب أن يَلِين قلبُك، و تُدرك حاجتك، ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يَلِن قلبك وتُدرك حَاجَتَكَ" [صحيح - صحيح الجامع: 80]، والشريعة المطهرة جعلت أكل مال اليتيم من السبع الموبقات كما في الصحيحين أن النَّبيّ ﷺ قال "اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، و قذف المؤمنات المحصنات الغافلات" [متفق عليه]، فجعلت الشريعة المطهرة من أكبر الكبائر أكل مال اليتيم، وأمرتنا الشريعة بمراعاة اليتامى، و قال النَّبي ﷺ كما عند البخاري "أنا وكافل اليتيم في الجَنَّة هكذا و أشار بالسَّبابة و الوسطى" [صحيح البخاري: 5304]، دليل على قرب اليتامى من النَّبيِّ ﷺ، وفي الطبرانيُ في الأوسط وصححه الألباني قال النَّبيِّ ﷺ: "أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجَنَّة..."، اليتيم له: أي من أقاربه، أو اليتيم من غير أقاربه، "أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجَنَّة، والساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله" [صحيح– صحيح الجامع: 1476].

والنَّبيِّ ﷺ حذَّرنا أشدَّ الحذر من التطاول على حق الضعفاء، وفي المستدرج وسنن البيهقي بإسنادٍ حسن قال النَّبيِّ ﷺ: "إنّي أُحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة" [حسن – صحيح الجامع: 2447]، **فكفالة اليتامى و التواصي بهم وزيارتهم و مواساتهم ومسح رؤوسهم و إطعامهم الطعام هذه من أثقل العبادات.**

✍ كفى أن يكون الجزاء رفقة النَّبيِّ ﷺ **أنا وكافل اليتيم في الجَنَّة هكذا وأشار بالسَّبابة و الوسطى وفرَّق بينهما**، ويكفي في ذلك، أن يكون الإنسان صاحب قلبٍ رقيق، لين، في زمن قسوة القلوب، إن أردت أن تُلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم.

لذلك الَّذي يصنع معهم خلاف ذلك تكون عقوبته شديدةٌ شديدة.

{الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}: فيدفعه، ويحقره، ويتجاوز حده في معاملته.

{وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}: أي لا يفعله ولا يأمر به.

✍ وليس الذَّمُ عامًا حتى يتناول من تركه عجزًا، ولكن كان هؤلاء يبخلون ويعتذرون لأنفسهم، ويقولون {أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ} [يس: 47]، فنزلت هذه الآية في أولَئِكَ، ويكون معنى الكلام لا يفعلونه إن قدروا ولا يحثون عليه إن عجزوا.

فلا بدَّ أن تأخذوا بالكم من المعنى، وأظنُّ أن الترابط بين السور واضحٌ و جليٌّ، فبعد أن قال الله تبارك وتعالى {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: 4]، جاء ربنا تبارك وتعالى ليُبين كيف تُشْكر نعمة إطعام الطعام، وذلك بإطعام اليتامى وبمواساتهم، وأيضًا بإطعام المساكين، وليس عكس ذلك، **فإذا قدرت فأطعم ،وإذا عجزت فحُثَّ الناس، لست معذورا بعد ذلك.**

إذًا فإمَّا هذا وإمَّا ذاك، فإمَّا أن تُطعم بنفسك، وإما أن تَحُثَّ غيرك أن يفعل.

والنفوس البشرية، جُبلت على ألَّا تبذُل إلَّا بعِوض، ولا تُعطي إلاَّ عن رغبة، ولا تَكُفَّ إلَّا عن خوف، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين، والجزاء غير مأمولٍ منهما، فلم يبقى دافعٌ للإحسان، فلذلك خصَّ المسكين واليتيم من أجل ذلك، الإنسان لِما يعطي؟؟؟، لأنه سيأخذ في المقابل، أو لاتقاء شر شخصٌ معين.

أسباب ظهور الفقر.

لمّا كان الخوف مأمون من هؤلاء "اليتامى والمساكين"، فإذا بالناس يمنعونهم حقوقهم، فظهر في المجتمعات طبقات فقيرةٌ، لا يواسيها النَّاس ولا يقفون معها، فإذا بنا نسمع عن ثورة الجياع...؛

وهؤلاء لمَّا منعوا الحقوق، وكانوا مأمونين في البداية لأنهم لا طاقة لهم، فلمَّا كان كذلك، إذا بالناس تبغي عليهم، فإذا بهم يتحولون إلى أمثال الأسود المفترسة، وظهرت ظاهرة البلطجية، وظاهرة أولَئِكَ الناس الَّذين تعدَّوا، وصاروا يتطاولون، ويتجاوزون الحد في انتهاك حرمات الناس، وفي الاستيلاء على أموالهم.

✍ ولكن العلاج الشرعي الإسلامي لظاهرة الفقر هو هذا المعنى، **إمَّا أن تواسيهم بنفسك، وإما أن تَحُثَّ غيرك إن عجزت**، فحثنا الشرع الكريم على بذل المال، وإطعام الطعام لليتامى

والمساكين، حتَّى يكون في ذلك شكر هذه النعمة، فيتحقق الأمان الاجتماعي، {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: 4]، وفي نفس الوقت يكون ذلك شكرًا لنعمة إطعام الطعام، {لَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} [قريش: 4].

{وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}: لا يأمر به من أجل بخله وتكذيبه بذلك، وفي سورة الحاقة، قول الله تبارك وتعالى: وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ [الحاقة: 34].

قال الله جلَّ وعلا: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}: أي عذابٌ لهم.

وقد قالوا أنَّه أراد بذلك هؤلاء الَّذين يُظهرون شيئًا ويُبطنون خلاف ذلك، قال الحسن في الذّم إضمارٌ، وقال الحسن أنَّه المنافق إن صلَّاها لوقتا لم يرجوا ثوابها، وإن صلَّاها لغير وقتها لم يخشى عقابها، "نعوذ بالله من ذلك".

✍ إذًا ونحن نُصلِّي علينا احتساب الأجر، حتى ننفي عن أنفسنا هذه الصفة من صفات المنافقين، وذكِّروا أنفسكم بفضل الصلوات مجملةً، و بفضل كل صلاة في أدائها، كما هو معلوم من الفضائل لكل صلاةٍ أو فيما ورد عن النبي ﷺ كما في شأن من حافظ على صلاة العشاء و الفجر، وأن أثقل الصلوات على المنافقين صلاة الفجر والعشاء في وقتها وأن من صلى الفجر والعشاء في جماعةٍ كُتبت له قيام ليلة" [صحيح- صحيح الترمذي: 221]، وأنَّ من ترك صلاة العصر فكأنما وتر أهله أي فقدهم ومن أدَّها فكأنما أدَّى حق الله عليه، {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} [البقرة: 238].

فاحتسبوا الأجر، وإيّاكم ثمَّ إيّاكم بعدم المبالة بالعقوبة في حال ترك الصلاة.

قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)}: قالوا المقصود بهؤلاءِ المصلِّين هم الذين على هذه الصورة، ليس بطبيعة الحال هذا السهو الذي يطرأ عليك حال الصلاة، ولا يستطيع الإنسان أن يدفعه عن نفسه.

ما المقصود بالسهو في الآية؟

السهو فُسِّرَ على ستةِ معاني:

- قالوا ساهون أي لآهون عن صلاتهم "لآهون من اللهو".
- وقال قتادة أي غافلون.
- وقال الحسن أي لا يُصليها سرًا، ويُصليها علانية رياء المؤمنين.
- وقال أبو العالية هو الَّذي يلتفت يُمنةً و يُسرى، كأنَّه يستهين بصلاته.
- وقال قُطرب هو ألَّا يقرأ ولا يذكر الله تبارك وتعالى.
- وجاء أنَّ هؤلاء هم الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها.

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)}: الَّذين قال الله فيهم: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: 59]" هَؤُلَاءِ أهل النفاق، {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ} [النساء: 142]

✍ وهذا من الأدلّة الّتي استدلوا بها على أن المراد بهؤلاء هم أهل النفاق، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال هنا: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} وقال هناك: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ}.

☜ وقال ابن عباس ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين.

✸وكان عطاء يقول الحمد لله الّذي قال {عَنْ صَلَاتِهِمْ}، ولم يقل في صَلَاتِهِمْ، إذًا لهلكنا جميعًا، ومن مِنّا يدَّعي أنَّ صلاته من أوَّلِها لِآخِرِها تكون بخشوع وخضوع تام، فقوله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، سَاهُون عنها، سهو تركٍ لها، وقِلة التفات إليها.

أمَّا هذا السهو الذي يعتري الإنسان بوسوسة الشيطان أو بحديث نفس، فهذا السهو يكاد لا يخلوا منه مسلم، كما قال الزَّمخشري، وكان رسول الله ﷺ يقع منه السهو في صلاته، ومن هنا كانت هناك ما يسمَّى بسجود السهو، ومعلوم هذا الأمر.

إذًا الحمد لله الّذي قال: {عَنْ صَلَاتِهِمْ}، ونعوذ بالله من هذا الوصف أن يكون فينا، نعوذ بالله من ذلك، ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا ممن يقيموا الصلاة".

قال الله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}: هَؤُلَاءِ الّذين يُرَاءُونَ بصلاتهم، يُصلونها مع النَّاس إذا حضروا، ولا يصلونها إذا غابوا.

✍ وقالوا بل الذَّم عام لكل من يُرائي بعمله، ولا يقصد به وجه الله تبارك وتعالى، فهو يُري النَّاس أنه يُصلِّي طاعة، وهو يُصلِّي تَقِيّة، وهذا شان أهل الفسوق والنفاق، يُرَى أنَّه يُصلِّي عبادة، وهو يُصلِّي ليُقال "إنَّه يُصلِّي".

حقيقة الرياء.

وحقيقة الرياء طلب ما في الدُّنْيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس؛

- وأول الرياء تحسين السَّمْتْ، وذلك بالجاهِ والثناء.
- وثانيه الرياء بالثياب القِصار والخشنة، وهذا رياء بالزهد في الدنيا.
- وثالثه الرياء بالقول، بإظهار السخط على الدنيا، وإظهار الوعظ، والتأسف على فوات الخير والطاعة، كأنه حزين على فوات هذه الطاعات، ويتكلم بمعسول الكلام، وقلبه قلب الشيطان، فهذا رياء بالتسخّط على أهل الدنيا.
- والرابع الرياء بإظهار الصلاة والصدقة، وتحسين ذلك من أجل رؤيا الناس.

✍ بذلك قال الإمام ابن العربي رحمه الله، ونقل ذلك القرطبي في تفسيره: الرياء على أربع درجات، أوله أن يُحسن شكله ليُثني الناس عليه، وينظرون إليه نظرًا مختلفًا، وهذا لباسُ الشهرة الّذي نهانا عنه النَّبي ﷺ، ومعلوم أن ذلك من الأمور التي ينبغي الحذر منها في شأن ثياب العبد المؤمن، ألَّا يلبس لباس شهرةٍ، ففي الحديث الّذي رواه أبوا داود، وابن ماجة، عن ابن عمر، و حسَّنه الألباني: "من لبس ثوب شهرةٍ ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله ثمَّ يلهب فيه النار" [حسن- صحيح الجامع: 6526]، ثم يكون جزاؤه النار، إذًا تحسين السَّمْت، ثانيًا الرياء بالعكس بأن يلبس الملابس الخشنة والثوب القصير وإظهار الزهد في الدنيا وهكذا..........، بل البس

ماشئت بدون ترفع من غير إسرافٍ ولا مخيلةٍ، ومن غير إظهار زهادة هي ليست حقيقية، والأمر الثالث الرياء بالكلمات الّتي يُفهم منها المسارعة إلى الخيرات والتّسخّط على الدُنيويّات، والقلب بعيد كل البعد عن ذلك، وأخيرًا الرياء بإظهار العمل الصالح لأجل رؤية الناس.

قال أهل العلم: ولا يكون الرجل مُرائيًا لإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حق الفرائض الإعلان بها، وأن يُشَهِّرَ بها، فهذا ليس برياء، فالإنسان ينبغي أن يقوم بشعائر الإسلام، ومن ذلك أيضا أن يسن سنة حسنة، بفعل عمل يرجوا من ذلك أن يفعله الناس فيكثُر الخير، ولا يقصد به أن يراه الناس ليُثنوا عليه.

❋ ليس هذا هو المقصود، إنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فتُثني عليه بالصلاح.

☜وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر فأطالها، فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك، وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة.

وإخفاء الأعمال مطلوب، كما أن إعلانها في بعض الأوقات مطلوب، أمّا الإسرار فقد قال النَّبي ﷺ "صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين" [صحيح- صحيح الجامع: 3821] ، وقال ﷺ: "من استطاع أن يكون لـه خبءٌ من عمل صالح فليفعل" [صحيح- السلسلة الصحيحة: 2313].

ومطلوب أن يسن الإنسان سنة حسنة، وذلك بفعل بعض الطاعات، كما قال النَّبي ﷺ "من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا" [صحيح- صحيح الجامع: 6305]، وقال النَّبي ﷺ تصدقوا قبل أن يُحال بينكم وبين الصدقة، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره "القمح"، من شعيره، من صاع تمره، حتى قال ولا يحقرن أحدكم شيئًا من الصدقة ولو بشق تمرة، فأبطؤوا، حتى ظهر في وجهه الغضب ﷺ، فجاء رجل من الأنصار بصُرّةٍ من ورقْ، بشيء من فضة، وقيل من ذهب، حتى كادت كَّفُّه تعجز عنها "أي أتى بشيء في مليء الكف" فناولها النَّبي ﷺ وهو على المنبر، فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقبضها رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأعطى، ثمَّ قام عمر فأعطى، ثمَّ قام المهاجرون والأنصار فأعطوا، ثمَّ تتابع الناس في الصدقات، فمن ذي درهم، ومن ذي دينار، ومن ذي وذي...، قال الراوي حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، وقال النَّبي ﷺ حينها من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ومثل أجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا [أخرجه مسلم- أحكام الجنائز: 225].

إذًا يجب أن نجمع مابين الأمرين {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: 271]، نجمع بين ذا وذا.

قال الله تبارك و تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}، قُلْنا يمنعون زكاة المال، فقد رُويَ ذلك عن ابن عباس وعن عليٌّ، وأُريدَ به المنافق الّذي يمنع الزكاة، ويكون في هذا إشارة إلى قوله تبارك وتعالى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ [التوبة: 54].

{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}: قالوا الزكاة التي فرضها الله عزَّ وجلَّ، قال بذلك زيد ابن أسلم وغيره.

تابع معنى كلمة الماعون.

القول الثاني أن الماعون هو المال، لأن قريش كانت تُسَمِّي المال ماعونة، وقالوا هو اسم جامع لمنافع البيت كالفأس، والنار، وأواني الطهي، ونحو ذلك...، وقالوا الماعون كل ما فيه منفعة، فيمنع منافعه، وقالوا الماعون هو ما يُستعار، العارية، وقالوا الماعون هو المعروف كُلَّه، وقالوا الماعون: الماء والكلأ، الماء والحشيش والأعشاب الَّتي يأكُلها الغنم، الثامن من الأقوال: قالوا الماعون: الماء وحده، والتاسع قالوا: الماعون: الحق، والعاشر الطاعة والانقياد، قالوا يمنع الطاعة والانقياد إلى الله تبارك وتعالى، وقالوا الماعون من المعونة بما خفَّ فعله فيمنع ذلك.

إذًا {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ،} في هذه التأويلات: يمنع الزكاة، يمنع المعروف، يمنع الطاعة، يمنع المال، يمنع ما يتعاوره الناس في بيوتهم من آواني للطهي، ونحو ذلك...، يمنع ما يَخِفُّ فعله ويَقِل ثِقْلُه، يمنع ذلك، فلهذا توعده الله تبارك وتعالى بهذا الوعيد الشديد، بالويل، {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)}

فوائد السورة:

فهذه السورة العظيمة بيّنت عِدَّة أمور:

أولاً: عقيدة البعث والجزاء: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}، وبيّنت أن أي قلب خَلِي من عقيدة البعث والجزاء فصاحبه شر الخلق، لا خير فيه البتَّة

ثانيًا: ندّدت بالَّذين يأكلون أموال اليتامى ويمنعونهم حقوقهم ويحتقرونهم.

ثالثًا: ندَّدت أيضًا وتوعدت بالَّذين يحتقرون أمر الصلاة، ولا يُبالون في أي وقت يُصلون، وهذا من علامات النفاق، "والعياذ بالله".

رابعًا: بيّنت أن منع الخير والعطاء من صفات المنافقين، فينبغي الحذر من هذا كله، حتى لا يقع الإنسان في مَغبّةِ هذا الوعيد الشديد من الله تبارك وتعالى "فويلٌ".

وقالوا الويل وادٍ في جهنم، فتوعّد الله تبارك وتعالى من يصنع هذا بالعذاب الأليم.

ولابدَّ من حاشية حول قوله تبارك وتعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}، لخطورة هذه القضية، فقد وردت آثار كثيرة عن السلف في تارك الصلاة عمدًا أنه لا تُقبل منه صلاة، كما رُوي عن أبوا بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لعمر رضي الله عنه في وصيته، إن لله حق بالليل لا يقبله بالنهار، وحق بالنهار لا يقبله بالليل، يشير رضي الله عنه إلى صلوات الليل والنهار.

وفي بعض الأحاديث "ثلاثة لا يقبل منهم صلاة، وذكر منهم الَّذي لا يأتي الصلاة إلا دبارًا"، "أي بعد فوات الوقت" [ضعيف- فتح الباري لابن رجب: 358/3]، وإن كان في الإسناد ضعف كما قال ابن رجب رحمه الله، لكن مجرد نفي القبول، لا يستلزم عدم وجوب الفعل، كونها لا تُقبل، لا يعني ذلك أن لا يصليها، كصلاة السكران في مدة أربعين يوم الَّتي لا يقبلها الله عز وجل منه، وصلاة المرأة التي زوجها عليها ساخط فلا تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها.

وقد فسَّر الصحابة أمر السهو عن الصلاة، بإضاعة المواقيت، قال ابن مسعود المحافظة على مواقيتها هي المحافظة على الصلاة أما تركها فكفر، ففرَّقوا بين تركها وبين صلاتها بعد وقتها.

وقد أمر النَّبي ﷺ بالصلاة خلف من أخبر أنه يُضيع الصلاة ويُصليها في غير وقتها، وهذا يدل على أن صلاتهم صحيحة، وقد سُئلوا عن الأمراء وعن قتالهم قال لا ما صلَّوْ، وكانت على هذا الوجه أنه يصلي الصلاة لكن على غير وقتها.

وقيل السهو عن مواقيت الصلاة لا يستلزم تَعَمُّد التأخير عن الوقت الحاضر، فإنه قد يقع على وجه التهاون بتأخير الصلاة حتى يفوت الوقت من غير تَعَمُّد ذلك، وقد يكون تأخيرها إلى وقت الكراهة، أو إلى الوقت المشترك، الَّذي يجمع فيه أهل الأعذار، كما هو قول جمهور العلماء.

وهذه الصلاة سواء صلى ما بعد أو قبيل الوقت، هذه الصلاة تُجزوه، ولا يكون أبدًا كتارك الصلاة بالاتفاق، وقد سُئل سعيد ابن جبير عن قول الله تبارك وتعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)}، فدخل المسجد فرأى قوم قد أخّروا الصلاة لا يُتِمّون ركوعها ولا سجودها، قال الَّذي سألتني عنهم هم هؤلاء، وهذه الصلاة مثل الَّتي سمَّاها النَّبي ﷺ صلاة المنافقين، الَّذي يَعمَدْ إلى أن يرى وقت الشمس قد دانت للغروب فيُصليها وينقرها نقرًا، وهكذا كانت صلاة الأمراء الذين أمر النبي ﷺ بالصلاة خلفهم نافلة، فإنهم كانوا يؤخرون العصر إلى اصفرار الشمس، وربما كانوا يؤخرون الصلاتين إلى ذلك الوقت، وكانوا يصنعون مثل هذا..، فالصلاة صحيحة، ولكن يأثمُ الإنسان، ويقع الإنسان في هذه الإشكالية الكبرى وهذا الوعيد إن هو تحقق فيه هذا المعنى.

- **الشاهد** أنّه َليس حكمه كحكم تارك الصلاة بطبيعة الحال، ولكن حكمهم أن يُخشى عليهم من أن يتسرب النفاق إلى قلوبهم، وأن يصيروا من المنافقين الخُلّص بذلك، لأن هذا من خصال المنافقين.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يحفظنا وإيّاكم، وأن يجعلنا من مقيمي الصلاة ومن ذُرِّيَّاتِنا، ربنا وتقبل دعاء.

اللهمَّ تقبل منَّا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا ينفعنا.

سبحانك ربنا وبحمدك، نشهد أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.